الفصل الخامس

رأس المال الثقافي وتشكيل النُخْبة الثقافية

- تمهيد.
- أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية.
  - ١ - أسرة النشأة ... الأصول والخصائص.
  - ٢ - أسرة النشأة ورأس المال الثقافى الموروث.
  - ٣- الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الثقافية
- ثانياً : تشكيل النُخْبة الثقافية.
  - ١ - فاعلية رأس المال الثقافى.
  - ٢ - تبدلات رأس المال الثقافى ومردوداتها.
    - أ - رأس المال الاقتصادى.
    - ب- رأس المال الاجتماعى.
    - جـ- رأس المال الثقافى الرمزي.
    - د - مردودات رأس المال الثقافى ... إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.
- ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية فى المجال الثقافى.
  - ١ - الوراثـــة.
  - ٢ - الاستثمار الثقافى وممارساته.
    - أ - الحراك الأفقي.
    - ب- تنمية رأس المال الثقافى وتحديثه.
  - ٣ - رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الثقافى.
- التعقيب

تمهيـد :

يعرض الباحث في هذا الفصل دور رأس المال الثقافي فى تشكيل النُخْبة الثقافية داخل المجال الثقافي لمدينة سوهاج، وذلك من خلال المقابلات التى أجراها الباحث مع خمس حالات من المجال الثقافي.

ويكشف هذا الفصل عن تجانس واضح بين حالات النُخْبة الثقافية سواء على مستوى النشأة أو الطريقة التى تشكلت بها النُخْبوية داخل المجال الثقافى، ويُعد ذلك اختلاف واضح عن حالات النُخْبة فى المجال الاقتصادى.

ويتضمن هذا الفصل فى البداية عرضاً لظروف نشأة حالات الدراسة، وأهم سمات الأسر التى توافدت منها هذه الحالات، مع الإشارة إلى الرصيد الموروث من رأس المال الثقافي، الذي توافر من خلال هذه الأسر، وذلك لأهمية هذا الرصيد، الذى يعمل كنواة لرصيد حالات الدراسة داخل المجال الثقافي، ويختتم هذا الجزء بعرضٍ لأهم الخصائص الاجتماعية (الحالة العمرية، الحالة التعليمية، الحالة الاجتماعية) لحالات الدراسة.

ثم يعرض الباحث متغيرات تشكيل النُخْبة الثقافية، وذلك من خلال التعرض أولاً: لمدى فاعلية رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، ثانياً: الكشف عن أهم صور تبدلات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، ويختتم هذا الجزء بثالثاً: التى من خلالها يعرض الباحث أهم مردودات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، والتى تتمثل فى إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء.

ثم ينتقل الفصل لعرض أهم الاستراتيجيات – التى كشفت عنها نصوص حالات الدراسة- التى اعتمدت عليها حالات الدراسة فى تحقيق تميزها ونُخْبويتها داخل المجال الثقافي، ويختتم هذا الفصل بالتعقيب العام.

أولاً : ظروف النشأة والخصائص الاجتماعية :-

تُقدم الدراسة الراهنة هنا، وصف للأصول الاجتماعية والطبقية التى توافدت منها حالات النُخْبة الثقافية في مدينة سوهاج وخصائصها الاجتماعية، وذلك بالاستناد على البيانات الإمبيريقية التى تم جمعها من خلال المقابلات التى تم إجراؤها مع حالات الدراسة، وذلك على النحو التالي:

(١) أسرة النشأة ... الأصول والخصائص :-

تكشف البيانات الإمبيريقية عن أن معظم حالات النُخْبة الثقافية، توافدت من أسر تنتمي

إلى الشرائح المختلفة للطبقة الوسطى، وأن هناك حالة واحدة فقط تنتمي إلى أسرة من طبقة كبار الملاك الزراعيين، والذين خضعوا للحراسة فيما بعد ثورة يوليو ١٩٥٢م، ويمكن الاستدلال على ذلك من خلال النصوص التالية لحالات الدراسة :

تقول الحالة رقم (٦) : " كان أبويا تاجر وصاحب أطيان زراعية، ويجيد القراءة والكتابة، ويتميز بخط جميل وواضح، وكان بيكتب جوابات كل الناس فى القرية اللى عايشين فيها، وده أعطاه مكانة كويسة بين أهل القرية ".

تقول الحالة رقم (٧) : " أسرتنا أسرة بسيطة متوسطة، وكان والدى متعلم، ويحب الشعر، وكان جدى شيخ أزهرى من تلامذة الشيخ أحمد أبو النور، والدكتور محمود عمارة، وإحنا كنا عايشين فى بيت جدى بيت العيلة يعنى ".

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا من مواليد ١٩٥٠، ولدت فى إحدى قرى سوهاج، كانت قرية صغيرة وحياة جافة وصعبة، وأبويا كان شيخ البلد، من بعد جدى، لكن حياتنا

كانت متوسطة، وأبويا رفض التعليم خالص، رغم أن جدى كان حابب يعلم أولاده ".

تقول الحالة رقم (٩): "أنا نشأت فى قرية لم يكن بها فى ذلك الوقت، لا مياه نقية ولا كهرباء، ولا حتى تليفزيون أو راديو، الوالد كان شيخ من شيوخ الأزهر الذين انقطعوا عن استكمال الدراسة لظروف خاصة،واشتغل إمام وخطيب مسجد وقارئ قرآن".

تقول الحالة رقم (١٠) : " لقد ولدت كما تقول شهادة ميلادي فى ديسمبر ١٩٤٥، وعائلتي معظمها على قدر من التعليم، وقد كانت أسرة لها ملكيات زراعية كبيرة جداً، ورغم أن آبائي وأجدادي يعملون بالزراعة إلا أن الزراعة لم تكن مصدر رزقهم الوحيد، فقد كانوا يمارسون نوعاً غريباً من التجارة، يتمثل فى استئجار مساحات ضخمة من الأراضي الزراعية بسعر الجملة من ملاكها الخواجات غير المقيمين، لكي يقوموا بتجزئتها وتأجيرها إلى صغار المستأجرين بسعر القطاعي، وكان الفارق فى السعرين كافياً لكي يشترى في كل عام عشرات الأفدنة من أرض الخواجات ".

(٢) أسرة النشأة ورأس المال الثقافي الموروث :-

توافر لدى معظم حالات الدراسة رصيد من رأس المال الثقافي الموروث من خلال أسرة النشأة وعلاقتها بالثقافة، ومما لا شك فيه أن هذا الرصيد الموروث من رأس المال الثقافي يعد النواة الأولى للرصيد الذى تراكم لدى حالات الدراسة فيما بعد، ويمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية لعدد من الحالات :

تقول الحالة رقم (٦) : " كان معاى عمى، بيشتغل ناظر مدرسة، وكان يشجعنا على التعليم ويراجع معانا الدروس، وكان له دور كبير فى إننا نكون كويسين فى التعليم، وكان معاى أخويا الأكبر متفوق فى الدراسة، وكان بالنسبة لى قدوة فى الجامعة، خاصة وأنه تم تعيينه معيد ".

تقول الحالة رقم (٧) : " إحنا كنا عايشين فى بيت جدى، وكان عنده مكتبة، أكبر مكتبة فى البلد، وكنت أشوف ستى لما تيجى لها الناس ويستعيروا كتب من المكتبة دى، وكان مفتاح المكتبة دى بعد ما جدى توفى متدهوش لحد أبداً غيرى أنا، واتعلمت فى المكتبة دى القراءة واتعودت عليها، أنا قريت فيها ألف ليلة وليلة وأنا صغير جداً،والوالد كان بيحب الشعر وعلمنى وحببنى فى أنى أحفظه".

تقول الحالة رقم (٩) : " عائلتى كلها أهل دين وفتوى، ونشأت فى بيت فيه الكتب، وبين الكتب نشأت، ومفيش أية وسائل إعلام تانية نهائياً، النشئة دى جعلتنى أتعلم القراءة مبكراً، قبل المدرسة، وحفظت معظم القرآن قبل المدرسة لأن الجو المحيط كله كان مهتم بالعلم والثقافة ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : "حين التحقت بمدرسة البدارى وأنا دون الخامسة بقليل، كنت قادراً على قراءة الكلمات المكتوبة فى الكتاب التعليمى الشهير الذى درسته ودرسه جيلى وهو كتاب " وزن ... أخذ "، والفضل فى ذلك إلى والدتى التى بدأت تعليمى بنفسها مبادئ القراءة فى سن مبكرة، والتى غرست فى نفسي عادة القراءة، حيث كانت تهرع بمجرد فراغها من أعمال المنزل إلى كتب السيرة النبوية أو إلى المصحف الشريف ... وفرضت على ظروف الثأر فى قريتى ألا أخرج بعد عودتى من المدرسة إلى الشارع، ولم يكن أمامى من ملاذ إلا القراءة، ولحسن الحظ شغفت بها شغفاً شديداً ولهذا أقبلت على المكتبة العامرة فى بيتنا، وكان جزء منها من آثار جدى لأمى، فى حين كان جزء آخر منها من مقتنيات أبى، أما الجزء الثالث فقد كان من مقتنيات أخى الأكبر الذى هاجر إلى البرازيل وأصبح أستاذاً شهيراً لعلوم الوراثة فى جامعتها"

ويُفضى تأمُل النصوص السابقة إلى التأكيد على العلاقة ما بين رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة وبين أصولهم الأسرية، حيث توافرت لدى أسرة النشأة أرصدة متباينة من رأس المال الثقافي، لعبت دوراً في تدعيم التحصيل الدراسي لديهم، وتدعم نتائج العديد من الدراسات هذه النتيجة، ومُجمل هذه الدراسات اهتمت برصيد الأسرة من رأس المال الثقافي

وعلاقته بالتحصيل الدراسي لدى الأبناء[١]. وتتفق هذه النتيجة مع ما يذهب إليه كل من "بورديو" و "باسيرون" ومؤداه أن تكوين رأس المال الثقافي يكون عبارة عن عمليات تراكمية تبدأ منذ الطفولة[٢].

وعلى خلاف ما سبق، أكد أحد الباحثين على أن رأس المال الثقافي لدى الأسرة لا يُحدد بمفرده رصيد الأبناء من رأس المال الثقافي، بل أن نجاح الأطفال فى التعليم وتكوين رأس المال الثقافي يرتبط بكل من رأس المال الاقتصادى ورأس المال الثقافي الذي في حيازة الأسرة، فمن خلال رأس المال الاقتصادى يستطيع الآباء أن يدفعوا أبنائهم نحو تحسين قدراتهم المدرسية وتنمية طموحاتهم الدراسية، وإلحاقهم بالمدارس الجيدة، التى تُمكنهم من تنمية قدراتهم، وتزويدهم بالفاعلية المطلوبة لإنجاز أهدافهم الدراسية[٣].

(٣) الخصائص الاجتماعية للنُخْبة الثقافية :-

(أ) الحالة العمريـة :-

توضح البيانات الميدانية ارتفاع أعمار حالات الدراسة، ولعل هذا يرتبط بأن عملية تكوين رأس المال الثقافي ومراكمته تحتاج لبذل كثير من الوقت والجهد داخل أي سياق اجتماعي، خاصة وأن رصيد الفرد من رأس المال الثقافي –على حد قول أحد الباحثين- هو النتيجة التراكمية للجهد التعليمي والثقافي الذي يقوم به الفاعل[٤].

(ب) الحالة التعليميـة :-

توضح البيانات الميدانية فيما يتصل بالحالة التعليمية، حصول جميع حالات الدراسة على درجة الدكتوراه فى التخصصات المختلفة، وليس هذا بغريب على حالات الدراسة، من منطلق أنهم نُخْبة المجال الثقافي في مدينة سوهاج، والأكثر من ذلك أن هناك الحالة (٩) حصلت على درجتي للماجستير، ودرجتين للدكتوراه من كليتي التربية والآداب، وهناك الحالة (١٠) حصلت على بكالوريوس الاقتصاد من كلية الاقتصاد والعلوم السياسية، وعلى ليسانس الآداب فى الفلسفة، وأخيراً ليسانس الحقوق، وقد تساعد هذه الأرصدة المرتفعة من رأس المال الثقافي المتمثل في الشهادات الأكاديمية على الوصول إلى تحليلات وتفسيرات عميقة لدور رأس المال الثقافي في تشكيل النُخْبة الثقافية.

(جـ) الحالة الاجتماعية :-

توضح البيانات الميدانية أن جميع حالات الدراسة داخل المجال الثقافي من المتزوجين، ويأتي ذلك متناسباً مع الحالة العمرية المرتفعة لدى حالات الدراسة، إضافة إلى أن الزواج

وإن لم يكن مطلب شخصي، فهو ضرورة تفرضها العادات والتقاليد الاجتماعية التى يعيش فى ظلها الفاعل الاجتماعى.

(د) النُخْبة الثقافية ... الأنشطة الرئيسة والمُضافة :-

تُحاول الدراسة من خلال هذا الجزء إلقاء مزيد من الضوء على الأنشطة التى تقوم بها حالات النُخْبة الثقافية، ولقد ميز الباحث فى هذا السياق ما بين الأنشطة الرئيسة، والأنشطة المُضافة.

وتُشير الأنشطة الرئيسة إلى تلك الأنشطة المرتبطة بالمكانات الرسمية التى شغلتها حالات الدراسة داخل المجال المؤسسي الذي يلتحقون به، وفى هذا تُوضح البيانات الإمبيريقية تعدد المكانات التى شغلتها حالات الدراسة بدايةً من أستاذ ورئيس قسم، نهايةً إلى رئيس جامعة، والوصول لمثل هذه المكانات يحتاج إلى العديد من المقومات لعل أهمها تكوين رصيدٌ كبير من رأس المال الثقافي.

وتُشير الأنشطة المُضافة إلى مُجمل الأنشطة الثقافية التى تتم خارج المؤسسة التى تعمل بها حالات الدراسة، وترتبط بقدرات إبداعية ومواهب أدبية معينة، ولقد توافرت هذه الأنشطة لدى حالتين من حالات النُخْبة الثقافية وهما الحالة (٩)، والحالة (١٠)، وتتضمن هذه الأنشطة احتراف الشعر، والنقد الأدبي، والنقد السياسي عبر مقالات فى الصحف المختلفة، ومثال هذه الأنشطة المضافة تمنح صاحبها رصيد من رأس المال الثقافي الرمزي، وهذا المفهوم تم استخدامه فى إحدى الدراسات للتفرقة ما بين نُخَب المجال الثقافي[٥].

ثانياً : تشكيل النُخْبة الثقافية :-

وتُوضح البيانات السابقة حول الخصائص الاجتماعية لحالات الدراسة فى المجال الثقافي، نجاح أصحاب هذه الحالات فى الوصول إلى أعلى الشهادات الأكاديمية فى المجال التعليمي، ووصول هؤلاء الأفراد إلى عددٍ من المكانات المرتفعة داخل هذا المجال، إلا أن تحقيق ذلك تتطلب منهم بذل الكثير من الوقت والجهد، وتنفيذ العديد من الاستراتيجيات التى لم تكن بالسهولة المُتوقعة، بمعنى أن حالات الدراسة تُقر بفاعلية رأس المال الثقافي في وصولهم للتميز، إلا أن هناك مجموعة من الكوابح البنائية التى اعترضت هذا الوصول، وحدت من فاعلية رأس المال الثقافي، وهذا من شأنه أن يُؤدى إلى مُضاعفة الجهد المبذول والوقت المطلوب، وأن يُقلل من العوائد والمردودات المرتبطة بأرصدتهم من رأس المال الثقافي.

ويُمكن للدراسة الراهنة توضيح النتيجة السابقة من خلال تناول العناصر التالية، والتى تدعمها نصوص حالات الدراسة.

(١) فاعلية رأس المال الثقافي :-

تؤشر البيانات الميدانية، على أهمية رأس المال الثقافي وفاعليته، إلا أن تحقيق هذه الفاعلية يتطلب بذل الوقت والجهد، وكلاهما بالنسبة لحالات النُخْبة الثقافية صعب، نظراً لأن كل فرد من حالات الدراسة كان فى حاجة إلى وقتٍ وجهد من أجل تحقيق رصيده من رأس المال الثقافي، ويمكن توضيح ذلك من خلال تأمل النصوص التالية :

تقول الحالة رقم (٦) : " أنا قدرت أوفر أشياء كتير مفيدة من خلال مؤهلاتى التعليمية، رصيدى من التعليم وفر لى وظيفة مرموقة، هذا الرصيد جعلنى أكون شاطر فى إدارة حياتى، وأتصرف بحكمة، وأمدنى بمساحة وعى كبيرة كانت مفيدة لى فى الحياة، لكن كل الأشياء السابقة لم تكن سهلة وميسرة، كان فيه بطئ كبير، ومجهود ضخم علشان تقدر تكون كويس... ".

تقول الحالة رقم (٧) : " رأس المال الثقافي حاجة كويسة، وده إنجاز لأى حد يوصل له، لكن علشان تستفيد منه وتقدر تجسده فى أشياء مفيدة لك فى المجتمع مسألة ليست هينة، أنا هقولك على حاجتين، علشان توصل لمنصب ما مرتبط بمهنتك فى المجال الثقافي، محتاج تراضى ناس كتير وبشكل صعب لو أنك صاحب مبدأ، بعد كدة علشان تعيش حياة تتناسب مع وضعك الثقافي والعلمى، محتاج أنك تسافر خاصة فى بداية حياتك المهنية ".

تقول الحالة رقم (٨) : " حياتى اتغيرت تماماً من خلال الثقافة والتعليم، والعمل بالتدريس الجامعى، ونجحت فى أنى أحقق أشياء كتيرة ممتازة، ووصلت لمناصب عديدة أهمها أنى كنت المستشار الثقافي لمصر فى أوزبكستان، بس للأمانة تعبت ... ".

تقول الحالة رقم (٩) : " رأس المال الثقافي قوة وحاجة مهمة فى أنك تصل إلى أشياء كثيرة، لكن فى مجتمعنا قيمته منخفضة وما يمكن أن تحققه من خلاله لا يأتى بشكل مباشر، يعنى المجتمع عندنا بيشوف من يملك المال بشكل أحسن ممن يملك العلم ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " أنا بالنسبة لى، لم يكن رصيدى الثقافي والعلمى بمفرده هو سبب التميز، تجمعت عندى أشياء كثيرة، منها على سبيل المثال موهبة الشعر هى فطرية وليس لها علاقة بالتعليم كان صعب على رصيدى التعليمى أن يحقق بمفرده إنجاز حقيقى فى حياتى ".

(٢) تبدلات رأس المال الثقافي ومردوداتها :-

نجحت حالات الدراسة من النُخْبة الثقافية في تحقيق تبدلات لرصيدهم من رأس المال

الثقافي، إلى أشكال أخرى من رأس المال، إلا أن هذه العملية لم تكن سهلة، بل جاءت صعبة ومُكلفة بالنسبة لحالات الدراسة، ويمكن توضيح ذلك بالتفصيل من خلال تناول أشكال التحويلات التى تجسدت لدى أصحاب هذه الحالات.

(أ) رأس المال الاقتصادى :-

تزداد أهمية رأس المال الاقتصادى وفاعليته، إذا تم إدراك مدى حرص حالات الدراسة على تكوين رصيد من هذا الشكل من رأس المال، ولكن عملية التحويل هذه لم تكن متوفرة لديهم داخل المجتمع المصرى، ولذلك فإن تكوين بعض حالات الدراسة لرصيد من رأس المال الاقتصادى، بالاعتماد على رصيدهم من رأس المال الثقافي، جاء من خلال الحراك الأفقي إلى مجتمعات أخرى، وتُؤكد حالات الدراسة هنا على تضاؤل قيمة رأس المال الثقافي داخل المجتمع المصرى، وأنه يُقدر بأبخس الأثمان، وفيما يلي بعض النصوص التى تؤكد ذلك :

تقول الحالة رقم (٦) : " وفرت لى وظيفتى رصيد جيد من رأس المال الاقتصادى، إلا أن هذا الرصيد جاء بعد وقت ليس بالقصير، وأهم وسيلة كانت فى ذلك هى السفر خارج مصر".

تقول الحالة رقم (٧) : " أنا استفدت جداً من اللى أنا فيه على المستوى الاقتصادى، خاصة لما اشتغلت فى السعودية، وبعد ما رجعت فيه موارد كتير كويسة منها تحكيمى للأبحاث فى عدد من المجلات العربية، الكتب والمقالات التى تنشر لى تعود على بعائد مادى، الأحاديث التليفزيونية والمحاضرات الخارجية، كل دى وسائل تعود على بالمكسب المادى، لكن فيه حاجة مهمة مفيش وجه للمقارنة ما بين الحاجات دى إذا عملتها فى دول الخليج وإذا عملتها فى مصر، العائد هناك أعلى بكتير، وعلشان تكون رصيد من المكسب المادى محتاج أنك تسافر ".

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا ما استفدتش مادياً أكثر من حد غيرى فى الجامعة، فيه ناس طلعت إعارات بالعشرين سنة، أنا كل اللى طلعته إعارة فى اليمن أربع سنوات، ولم تكن بالشكل المميز، لكن سفرية أوزباكستان بتاعة المستشار الثقافي هى اللى كانت بعائد مادى كبير وقدرت منها أكون رصيد مادى كويس ".

تقول الحالة رقم (٩) : " داخل مصر الفلوس بالنسبة لأهل الثقافة صعبة، لكن أنا كونت رصيد من خلال عملى فى عمان، عميداً للمعهد العالى للدراسات الإسلامية، ودى سفرية استمرت ثلاث سنوات، واشتغلت فترة فى جامعة أم القرى، وسافرت كذلك فترة الأردن ".

وتأمُل النصوص السابقة يُفضى إلى أن عملية وصول حالات الدراسة لتكوين رصيد من

رأس المال الاقتصادى، كانت تتسم بأنها مُكلفة، لأنها لم تتم داخل المجتمع المصرى، ولكن خارج حدود الوطن، وتعتقد حالات الدراسة أن الهجرة كانت تكلُفة عالية بالنسبة لهم، خاصةً وأنهم لا يهدفون إلى رأس المال الاقتصادي، إلا من أجل توفير مستوى معيشي لائق، وتدعيم عملهم فى المقام الأول، ويتأكد هذا من خلال ابتعاد حالات الدراسة عن الاستثمار فى رأس المال الاقتصادى، بمعنى أن رصيدهم من رأس المال الاقتصادى كان وسيلةً لضمان حياة كريمة.

وتتفق هذه النتيجة مع إشارة "بورديو" التى صرح فيها إلى أن رأس المال الثقافي قد يتحول –تحت ظروف معينة- إلى رأس المال الاقتصادى[٦].

وتلك الصعوبة التى واجهتها حالات الدراسة فى عملية تبديل رصيد من رأسمالهم الثقافي إلى رأس مال اقتصادي في المجتمع المصري، يمكن أن تُعزي إلى سببين :

الأول : يرتبط بعلاقة رأس المال الثقافي بالبنية الاجتماعية، حيث أن البنية الاجتماعية فى هذا السياق لا تدعم رأس المال الثقافي، ويُمكن التأكيد على ذلك من خلال إحدى الدراسات التى أكدت على أن فاعلية رصيد رأس المال الذى يمتلكه الفرد، يرتبط بمدى التصاق هذا الرصيد بالبنية الاجتماعية، وكلما زاد التصاق رأس المال المعنى بالبنية الاجتماعية، كلما زادت فاعليته، وبالتالي زادت قوته على التحول داخل هذه البنية[٧].

الثاني : يرتبط بالتضخم الذى أصاب المؤهلات التعليمية فى المجتمع المصرى، هذا التضخم –كما أشار بورديو- يؤثر سلبياً على الفرص المتاحة أمام الأفراد، وبالتالي يُقلل من فاعلية رأس المال[٨].

ويُمكن أن يُدلل الباحث على التضخم الذى أصاب رأس المال الثقافي في المجتمع المصري من خلال المقالة التي كتبها "جلال أمين" وحملت عنوان "من عصر الأفندية إلى عصر الدكاترة"، ويشير فيه إلى أنه عندما شاع أن لقب "الدكتور" قادر على فتح كثير من الأبواب المغلقة، وأنه بصرف النظر عن قدرات صاحبه الحقيقية، يُمكن أن يُجلب منافع لا يستهان بها، زادت لهفة الناس على الحصول على اللقب، وكانت النتيجة الحتمية لزيادة استخدام اللقب أن انخفضت بالتدريج قيمته[٩].

ولقد أطلق "رونالد دور" مصطلح مرض الشهادات Diploma Disease لتوصيف هذه الظاهرة، وأشار إلى أن نتائجه أن يُصبح التعليم مجرد عملية طقوسية لتكديس المؤهلات[١٠].

(ب) رأس المال الاجتماعى :-

توضح البيانات الإمبيريقية التى جمعها الباحث عبر المقابلات التى أجراها مع حالات

النُخْبة الثقافية، نجاح حالات الدراسة فى تكوين رصيد من رأس المال الاجتماعى، عبر شبكات العلاقات الاجتماعية، التى نجحوا فى تكوينها عبر مراحل حياتهم المختلفة، ولقد اتضح من تلك البيانات أن هناك عدداً من السمات المرتبطة بهذا الرصيد من رأس المال الاجتماعى، وذلك على النحو التالي :

١- درجة اتساع شبكات العلاقات الاجتماعية وتعددها لتطول أصحاب مكانات اجتماعية داخل مجالات أخرى، ارتبطت بالحراك الرأسي لحالات الدراسة داخل المجال الثقافي، بمعنى أنه كلما ارتفعت المكانة التى شغلتها الحالة فى المجال الثقافي كلما اتسعت شبكة العلاقات الاجتماعية.

٢- قوة العلاقات الاجتماعية ودرجة حميميتها اقتصرت على العلاقات الاجتماعية التى تم تكوينها من داخل المجال الثقافي.

٣- ضعف مردود شبكات العلاقات الاجتماعية على حالات الدراسة، نظراً لأن الاستثمار فى هذه العلاقات يحتاج لبذل الوقت من أجل تدعيم هذه العلاقات، وتُعد هذه التكلفة مرتفعة، نظراً لأن حالات الدراسة لا تملك هذا الوقت، فالوقت بالنسبة لهم موزع داخل المؤسسة التى يعملون داخلها، وعلى أنشطتهم الثقافية المختلفة.

٤- لا تهتم حالات الدراسة كثيراً بالعلاقات التى تكونت مع نُخَب المجالات الأخرى، لأنهم يدركون أنها علاقات نفعية قائمة بسبب المكانة التى تشغلها كل حالة فيهم، ومثال هذه العلاقات قد تتلاشى مع ترك المكانة الوظيفية التى يشغلها الفرد الآن.

وفيما يلي بعض نصوص حالات الدراسة فى هذا السياق :-

تقول الحالة رقم (٦) : " العلاقات كانت شئ مهم بالنسبة لى، وكانت لى علاقات فى كل مراحل عمرى، منها علاقات القرابة والزمالة، وبعد كدة كان لى علاقات مستحدثة بحكم الوظيفة، امتدت لأوضاع ومكانات مختلفة بحسب الوضع اللى كنت فيه أو حسب الوظيفة اللى كنت أشغلها، والعلاقات دى أفادتنى فعلاقات القرابة والزمالة كانت مفيدة بالنسبة لى جداً أكثر من غيرها، أما العلاقات اللى تكونت مع الترقى الوظيفى هى علاقات مع أعضاء مجالس الشعب والشورى مع المحافظ وبعض الوزراء، لكن فى مجملها هى علاقات مهمة بالنسبة لى فى إدارة الجامعة وتسيير شئونها المختلفة، واستراتيجيتى فى تكوين هذه العلاقات من خلال حضور المحافل المختلفة، ودعوة هؤلاء الأفراد إلى احتفالات داخل الجامعة، والاحتفاء بهم تماماً، علشان أقدر بعد كدة أطلب أى طلب منهم محتاجاة الجامعة ... ".

تقول الحالة رقم (٧) : " فى كل مرحلة من المراحل التى مريت بها كان هناك علاقات خاصة بها، لكن أهم علاقات كانت مع أساتذتى وزملائى لأنها علاقات طويلة وقوية، وتعتمد على الإفادة المتبادلة فى أمور التخصص، ومثل هذه العلاقات هى التى دفعتنى نحو التفوق والتميز فى كل مراحل حياتى، خاصة الأساتذة الكبار اللى كانوا يدعموننا نحو الاجتهاد والبحث، لكن العلاقات اللى تكونت علشان أنا قعدت على الكرسى ده، علاقات ليست ذات أهمية، يعنى وجودها زى عدم وجودها، لأنى واعى أنها علاقات مصلحة، وفيها نفعية مطلقة".

تقول الحالة رقم (٨) : " أهم علاقات لدى علاقاتى بزملائى وأساتذتى، وهى علاقات حب وصداقة، ودى علاقات لا تكلفك إلا الحب المتبادل والاحترام، بعد كدة العلاقات اللى عملتها كتير لكن عمرها قصير، هقولك أيام ما كنت المستشار الثقافي لمصر فى أوزبكستان كونت شبكة علاقات كبيرة وأطرافها كانوا مستويات عالية، لكن بمجرد ما أنى سبت الوظيفة ورجعت الجامعة معظم العلاقات دى مات لوحده مع الوقت، ووقتها عرفت أنها علاقات عارضة وليست دائمة ... ".

تقول الحالة رقم (٩) : " أنا أعرف كتير، لكن المهم أنت بتحب مين، ومين اللى ممكن يفيدك بمعنى أنه يربطك بيه، أهم حاجة عملتها فى حياتى علاقاتى بأهل العلم والثقافة، جمعتنى علاقات قوية واستفدت منها جدا مع أشخاص أمثال ميكى ماوس، عباس الأسوانى، أبو علاء الأسوانى، عرفت مجموعة كبيرة من الأدباء فى جلسات نجيب محفوظ وأمل دنقل ونجيب سرور، الناس دى أضافت لى عمر تانى على عمرى، علاقتى بأحمد فؤاد نجم، الناس دى هى اللى بتفيد الواحد، لأنك طول ما انت معاهم تتعلم وتضيف جديد لمعرفتك، غير كدة مش عاوز أعرف حد ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " أنا عاوز أقولك حاجة، أنا عندى المرحلة الأولى وهى المرحلة اللى كنت أهتم فيها بتكوين العلاقات فقط، وأنا هكلمك على العلاقات المهمة بالنسبة لى وهى العلاقات اللى كونتها من خلال الجمعية الأدبية، وجمعية الأدباء ومرحلة تأسيس اتحاد الكتاب، وهنا التواصل فى حد ذاته هو الهدف، وهذه المرحلة كان مردودها كويس، وهو إحساسك بأن الناس دى تعرفك وهم صفوة الأدباء فى مصر، الشيخ أمين الخولى، العقاد، واللى اتعلمته من الاتنين دول لا يقدر بمال، فاروق خورشيد، عبد الغفار مكاوى، صلاح عبد الصبور، أمل دنقل، الناس دى هم أهم علاقات أغلبهم مات لكن استفادتى منهم لسة حيا وعايش بيها، والناس دى ممكن تكون مفيدة لأنهم كونهم يعرفوك هذا يديك قوة وصلابة

داخل المجال الأدبى، وترددك عليهم يزودك بأشياء كثيرة ذات قيمة، ومعظم أصدقائى اللى كانوا فى مرحلة الشباب وصلوا لمناصب قيادية رءوس مجلات، رؤساء تحرير، رئيس الإذاعة، وكل هذا كان له مردود من خلال أنى طلبوا منى أنى أكتب مقالات ونشروها، وده بالنسبة لى أكبر خدمة وأحسن حاجة يعملوها لى ... ".

وتأمُّل النصوص السابقة، بالإضافة إلى خطاب حالات الدراسة بشكلٍ عام حول رصيدهم من رأس المال الاجتماعى يُفضى إلى العديد من الملاحظات، والتى يمكن التعبير عنها فى تساؤل عام مؤداه: هل نجحت حالات الدراسة فى تحويل شبكات علاقاتهم الاجتماعية إلى رأس مال؟ وسوف يجيب الباحث عن هذا التساؤل من خلال تأمُّل خطاب الحالات على خلفية الرؤى النظرية الملائمة.

نجحت حالات الدراسة فى تكوين شبكات علاقات اجتماعية واسعة إلى حد ما، خاصةً داخل المجال الثقافي، وذلك عبر مراحل حياتهم المختلفة، إلا أنهم فشلوا فى تحويل هذه العلاقات إلى رأس مال، أو قوة يمكن الاستثمار فيها بغرض الوصول إلى موارد قيمة، تضاعف أرصدتهم المختلفة، بما يحقق التميز، ويُمكن للباحث تفسير ذلك من خلال الاعتماد على افتراض "هومانز" Homans الخاص بقوة العلاقات المتبادلة، وأشار فى هذا السياق إلى أن هناك ثلاثة عوامل تقف خلف إيجابية العلاقات الاجتماعية هى التفاعل، والعاطفة، والنشاط[١١].

وهذا يعنى أن تحويل العلاقات الاجتماعية التى فى حيازة حالات الدراسة إلى قوة أو رأس مال اجتماعى يُمكن الاستفادة منه بشكلٍ كبير، إلا أنه يحتاج إلى بذل المزيد من الوقت والجهد خلال عمليات التفاعل وتكوين العواطف المشتركة، وهذا ما لم تفعله حالات الدراسة، لأن الوقت والجهد لديهم يتم استثماره فى النشاط الثقافي والوظيفي الخاص بهم، والذي قد لا يتيح فائض من الوقت والجهد لاستثماره فى مثل هذه التفاعلات.

هذا خلاف أن فترة هجرة حالات الدراسة تُمثل بشكل أو بآخر إهداراً لرأس المال الاجتماعى.

يُضاف لما سبق، عدم قناعة حالات الدراسة بتلك العلاقات التى يتم الدخول فيها من خلال المكانة الوظيفية، على أساس أنها علاقات نفعية فحسب، وقد يكون ذلك تبريرهم الخاص، لأن سبب عدم استفادتهم من مثل هذه العلاقات والتى غالباً ما يكون أصحابها من خارج المجال الثقافي ومن ذوى الموارد القيمة، هو عدم نجاحهم فى بذل النشاط والوقت الذى

يدعم هذه العلاقات ويُحولها إلى رأس مال يُمكن استثماره، ولهذا جاء اتجاه حالات الدراسة ليؤكد الفرض الخاص بالتشابه Homophile والذي مضمونه أن التفاعلات الاجتماعية يميل إلى أن تحدث بين الأفراد الذين يتشابهون فى أساليب حياتهم وخصائصهم الاجتماعية والاقتصادية، فهم حريصون على علاقات الزملاء والأصدقاء بشكلٍ أكبر من غيره، ومثال هذه العلاقات قائمة على التكافئ فكل طرف ينأى بنفسه عن فكرة الاستثمار فى مثل هذه العلاقات، لأن كل طرف يتعامل على أساس من التكافئ مع الآخر، إلا أن مثل هذا التفاعل القائم على التشابه يوفر لهم ما يناسب ظروفهم وهو جهد أقل وعائدات قد تكون أقل[١٢].

(جـ) رأس المال الثقافي الرمزي :-

يُشير رأس المال الثقافي الرمزي في هذا السياق إلى القدرات والمهارات الثقافية التى يمتلكها الفرد من خلال الموهبة الفطرية، مثال القدرة على كتابة الشعر، أو الرواية وغير ذلك، وتمنح مثال هذه المهارات تميز كبير للفرد داخل المجال الثقافي، ويستطيع من خلالها الوصول إلى موارد وعلاقات مختلفة عن أقرانه الذين لا يمتلكون مثال هذه القدرات، خاصة وأن مثل هذه القدرات فى جزءٍ كبيرٍ منها موهبةٌ فطرية، ولا يمكن اكتسابها عبر طول أو قصر سنوات التعليم والدراسة.

ولقد كشفت البيانات الميدانية عن أن هناك حالتان من حالات الدراسة(*). تحوز رصيد كبير من رأس المال الثقافي الرمزي، وبأقل جهد وأقصر وقت نجحت هاتين الحالتين في تدوير هذا الرصيد إلى أشكال أخرى من رأس المال، منها رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، واستطاعا من خلاله الوصول إلى مكانة اجتماعية مرموقة داخل المجال الثقافي، تلك المكانة التى لم تهتز أو تتغير عندما تبدلت مكانتهم الوظيفة داخل المؤسسة التى يعملون فيها(*).

ولقد أكدت إحدى الدراسات على أن رصيد الفرد من رأس المال الثقافي الرمزي، يزيد من قدرته على الإبداع الحر، وتقييم المُنتج الثقافي برمته، ومثال هذه القدرات تمنح الفرد سلطة وشرعية ثقافية على من يحيط به من أفراد داخل المجال الثقافي[١٣].

(*) الحالة (٩)، والحالة (١٠).

(*) يمكن التدليل على ذلك من خلال معرفة أن كلتا الحالتان قد حصلت على العديد من الجوائز منها (جائزة الدولة التشجيعية، وسام العلوم والفنون من الطبقة الأولى، الجائزة العربية للتأليف المسرحي).

(د) مردودات رأس المال الثقافي ... إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء :-

عرضت الدراسة فيما سبق صوراً من تبديلات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، وما أرتبط بها من إشكاليات، كما أشارت الدراسة فى ثنايا هذا العرض لبعض مردودات هذه التبدلات، وتعرض الدراسة هنا لشكل مُميز من أشكال مردودات رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة، وهو حرص حالات الدراسة على إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء، وهذا يعني حرص حالات الدراسة على الاستثمار فى رأسمال أبنائهم البشرى، من خلال الموارد التى تقع فى حيازتهم بالاعتماد على رصيدهم الثقافي ومكاناتهم الاجتماعية داخل المجال الثقافي، ولقد كانت عملية إعادة إنتاج الذات تتم من خلال عدة أشكال، منها عملية توريث نفس المهنة، أو من خلال الاستفادة من مساحات الوعي المتوفرة لدى حالات الدراسة فيما يتصل بالمجال الثقافي والمهني، في توجيه الأبناء نحو مؤهلات تعليمية يكون لها مردود مادي عالٍ في المجال المهني.

يضاف إلى ما سبق أيضاً، كشفت الدراسة عن طريقة تعامل حالات النُخْبة الثقافية مع الرصيد الخاص برأس المال الاقتصادى، الذى تم مراكمته خلال المراحل العمرية المختلفة، حيث تم التعامل معه كوسيلة فحسب، من أجل تحقيق مستقبل واضح ومميز للأبناء خاصةً فيما يتصل برصيدهم من رأس المال الثقافي، ويُمكن التدليل على ذلك من خلال النصوص التالية لعدد من حالات الدراسة فى المجال الثقافي :

تقول الحالة رقم (٦) : " علاقتى بالتعليم والمجال الثقافي، وفر لى قراءة جيدة لواقع هذه الأشياء فى بلدنا، وهذا منحنى رؤية جيدة لتحديد مستقبل أولادى، فعلى سبيل المثال ابنى جاب ٩٧٪ فى الثانوية العامة والمجموع ده على الرغم أن المفروض أنه مجموع كبير، إلا أنه موفرش لابنى كلية كويسة، علشان كدة دخلته جامعة خاصة، كلية طب أسنان، وبيكلفنى مبلغ كبير، لكن الفلوس ملهاش لازمة فى مقابل أنه ياخد مؤهل كويس يوفر له مهنة كويسة تحقق له حياة كويسة على كافة المجالات ... ".

تقول الحالة رقم (٧) : " أنا أهم حاجة عملتها مع الأولاد أنى صرفت عليهم كويس فى التعليم، وده ساعدهم أنهم يكونوا متفوقين، واتعلموا كويس، ده استثمار بشرى، خاصة وأنهم أهم حاجة عندى، أنا عندى ولد راح فنون جميلة، هو بيدرس زيه زى زملاءه، بس أنا بساعده وأديله حاجات تانى وكورسات، علشان كدة خد امتياز واتعين فى الجامعة معيد، والثانى كذلك تفوق واتعين معيد، وعندى البنت فى كلية طب، هم دول رأسمالى الحقيقى، وأنا حريص على

الاستثمار فيهم مش فى حاجة تانى ... ".

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا عندى ابنى الكبير خلص ليسانس آداب وصحافة، والثانى بكالوريوس طب، والتالت فى تالتة حقوق، ونور آخر واحدة وهى صغيرة ... ".

تقول الحالة رقم (٩) : " دخلت مرة البيت لقيت الولد الكبير وكان عنده ١٤ سنة وماسك كتاب لهيكل، دى أجمل لحظة، واعتبرت ده أكبر نجاح عملته فى تربية ولادى، وهو دلوقتى خلص طب بيطرى وبيعمل ماجستير وشغال فى شركة أدوية، ومعاى بنت

آداب عربى، والثانية إنجليزى، والثالثة فرنسى، وأنا تركت لهم حرية اختيار تخصصاتهم وكلياتهم، ومنهم واحدة فى كلية تربية الوادى الجديد وخلصت دكتوراه والثانية بتعمل ماجستير فى أسيوط، وزوجها مدرس فى كلية العلوم، ومعنديش حاجة أورثها لهم غير مكتبة على مساحة ٢٠٠ متر فيها كل كنوز الكتب فى أى تخصص وهى دى ثروتى الحقيقية، وواثق أنها خير ورث لهم لأنهم كلهم يحبوا القراءة ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " على ما أعتقد أنى وفرت لأولادى كل سبل الراحة، وفيما يخص تعليمهم عندى إبنى الكبير فى آخر سنة فى إنجليزى وهو من أوائل دفعته، وعندى بنت فى جامعة خاصة فى علاج طبيعى والباقين لسة فى الثانوية، وأنا لا أتأخر عن أى شئ فى صالح مستقبلهم، خاصة وأن البلد فى مرحلة صعبة فيما يخص التعليم وفرص العمل ... ".

ويُمكن مما سبق التأكيد على أن الوجهة التعليمية والمهنية للفرد، تتأثر بالموارد الثقافية التى تحوزها الأسرة، وهناك عدد من الدراسات التى تؤكد على نتيجة الدراسة فى هذا السياق، حيث ركزت هذه الدراسات على مهنة الآباء ورصيدهم من رأس المال الثقافي، وعلاقته ببلوغ المكانة التعليمية والمهنية العالية للأبناء، ووضحت هذه الدراسات أن الوراثة المهنية هى أكثر أشكال الوراثة وضوحاً[١٤].

ثالثاً : استراتيجيات تحقيق النُخْبوية في المجال الثقافي :-

تحاول الدراسة الراهنة هنا، الكشف عن أهم الاستراتيجيات التى اعتمدت عليها حالات النُخْبة الثقافية في تحقيق نُخْبويتها، وذلك بالاعتماد على البيانات التى تم جمعها عبر المقابلات، وذلك على النحو التالي :-

(١) الوراثـــة :-

تكشف البيانات الميدانية عن أن جميع حالات الدراسة تُعبر عن اتجاه قبول الميراث الوالدي وتجاوزه، حيث أن الرصيد التى راكمته هذه الحالات من رأس المال الثقافي، قد جاء من خلال

أسرة النشأة، والتى توافر لديها رصيد –وإن كان محدود- من رأس المال الثقافي، كان له أكبر الأثر فى تحديد توجهات الحالات نحو التعليم ومراكمة رصيد متميز من رأس المال الثقافي، ولعل مراجعة النصوص الخاصة بذلك والتى أوردها الباحث تحت عنوان أسرة النشأة ورأس المال الثقافي الموروث، توضح ذلك بجلاء، ويضاف لذلك أن أسرة النشأة فى بعض الحالات كانت تحوز أرصدة من رأس المال الاقتصادي، الأمر الذي كان له دورٌ إيجابي في دعم توجهات هذه الحالات نحو رأس المال الثقافي، وفيما يلي بعض النصوص التى تؤشر على ذلك :

تقول الحالة رقم (٩) : " أنا كنت وحيد، وأبويا كان يعطينى مصروف بريزة ودى كانت حاجة كبيرة خالص، كنت أتغدى فى المدرسة بقرش واركب مواصلات بقرش أو اتنين، والباقى اشترى بيه كتب، ومجلات زى مجلة سمير، وبعدين اكتشفت أن فيه

جريدة اسمها التعاون بتهدى مع العدد الأسبوعى بتاعها كتاب مجاناً، فاتعودت أشتريها علشان الكتاب ده، وأيا كان موضوع الكتاب مش مهم لكن المهم أنى أروح بكتاب جديد، وفى الثانوية بدأت أشترى روايات مترجمة كانت تصدر باستمرار، وبدأت اتابع مجلة الهلال وكان يكتب فيها وقتها طه حسين وأحمد أمين، وعباس العقاد، وغيرهم ... ".

تقول الحالة رقم (١٠) : " حالة أسرتى الاقتصادية كانت مهمة لى ولأخوتى، لأننا كنا نشترى الكتب من أول عمرنا، وبعد كدة ميراثى من أسرتى يسر عليا حاجات كتير، أهم حاجة أنى كنت دائماً مستعصى على الشراء، والثقافة علشان تحقق لك نجاح محتاجه لأنها تكون منزه عن المآرب المادية... ".

وتُؤكد الدراسة الراهنة هنا على أهمية الخلفية الأسرية التى نشأت فيها حالات الدراسة، وتزداد هذه الأهمية داخل المجال الثقافي، لأن التراث النظري في هذا السياق يُؤكد على أهمية أن تبدأ علاقة الفرد بالثقافة بشكلٍ مبكر منذ الطفولة، حتى تتجذر داخله عادات القراءة، وحب الإطلاع وغير ذلك من آليات مهمة فى تكوين رصيد من رأس المال الثقافي.

ولقد أشار "بورديو" إلى حقيقة تتفق مع تاريخ حالات النُخْبة الثقافية، ومؤداها أن الطبقات التى تحوز رصيد من رأس المال الثقافي تميل في الواقع إلى الاستثمار فى تعليم أبناءها، وفى تدعيم الممارسات الثقافية التى تسمح لهؤلاء الأبناء بإعادة إنتاج هذا الرصيد من رأس المال الثقافي، بهدف حماية هذا الرصيد الموروث ومضاعفته[١٥].

(٢) الاستثمار الثقافي وممارساته :-

استطاعت حالات الدراسة تحقيق تميزها داخل المجال الثقافي بالاعتماد على الاستثمار الثقافي، والذي يعنى الاعتماد على أرصدتها من رأس المال الثقافي في الوصول إلى الموارد المهمة التي تدعم مكانتها داخل المجال الثقافي، ولقد تنوعت هذه الموارد وآليات الوصول إليها، وذلك على النحو التالي :

(أ) الحراك الأفقي :-

تُعد الهجرة إلى الدول العربية وغيرها من الآليات المُهمة، التي حققت لحالات الدراسة استثمار جيد فى أرصدتها من رأس المال الثقافي، وهذه الهجرة أتاحت لحالات الدراسة الوصول لعدد من الموارد المهمة، منها تكوين رصيد من رأس المال الاقتصادى، ولقد ساعد هذا الرصيد حالات الدراسة على التميز الثقافي بعد العودة، لأن هذا الرصيد سهل من حركة الحالات داخل المجال الثقافي، كما سهل أيضاً من وصول حالات الدراسة للترقي داخل المجال الثقافي، حتى الوصول لدرجة أستاذ داخل التخصص الذى يعملون به، لأن الوصول لهذه الدرجة يتطلب إجراء العديد من الدراسات والبحوث التى تحتاج للدعم المادي، ذلك الدعم الذى قد لا يتوفر إلا من خلال الرصيد الخاص بالحالة، خاصة وأنه ليس هناك وسائط متوفرة لدعم البحوث العلمية فى المجتمع المصرى.

استطاعت حالات الدراسة من خلال الهجرة أيضاً، أن تفرض نفسها على أن تكون ضمن هيئة التحكيم في عددٍ من الدوريات التى تقع فى نطاق تخصصاتهم، ويُعد هذا مورد مهم لتنمية رصيد رأس المال الثقافي لدى حالات الدراسة فيما يرتبط بتخصصاتهم العلمية، بالإضافة إلى أنه مورد مهم لرأس المال الاقتصادى، خاصةً وأن هذا النوع من العمل، لم ينقطع بعد عودة حالات الدراسة إلى الوطن.

وتندفع حالات الدراسة نحو الاستثمار الثقافي تحت ضغوط شديدة، لعل أهمها –على حد تعبير جلال أمين– غياب المشروع النهضوي الذي يمكن من خلاله توظيف هذه القدرات المتميزة داخل المجال الثقافي، ومع هذا الغياب لا يتبق إلا الهجرة، أو اللجوء إلى المشروعات الخاصة التى تجلب للمثقف وأسرته الثراء[١٦].

(ب) تنمية رصيد رأس المال الثقافي وتحديثه :-

عملت حالات الدراسة على تنمية رصيدها من رأس المال الثقافي، وتحديثه بشكلٍ مستمر، من خلال المواظبة على الإطلاع والقراءة المستمرة، والاشتراك فى إصدار المؤلفات العلمية

والبحوث، وأتاح لهم هذا التواجد الدائم فى المجال الأكاديمي، وأن يصبحوا أعضاء في اللجان العلمية المختلفة، تلك العضوية التى تُزود أصحابها برصيدٍ من رأس المال الرمزي، وتُتيح لهم العديد من فرص التقدم والتميز.

وتلفت الدراسة النظر هنا إلى أن عملية تنمية رصيد رأس المال الثقافي وتحديثه، تحتاج بجانب القدرات والمهارات العلمية، إلى رصيد من رأس المال الاقتصادى، فمتابعة الدوريات العلمية، واقتناء المؤلفات الحديثة يتم من خلال هذا الرصيد.

(٣) رأس المال الجمعي ... محصلة تبدلات رأس المال الثقافي :-

توافرت لدى حالات الدراسة أرصدة متباينة من أشكال رأس المال، ويحتل رصيد رأس المال الثقافي مكانة الصدارة من بين هذه الأشكال، ذلك الرصيد الذى أنتج عدداً من الأرصدة الأخرى أهمها رصيد من رأس المال الاقتصادى، ورصيد من رأس المال الاجتماعى، والذي تتأكد فاعليته داخل حدود المجال الثقافي فحسب، وعلى هذا فإن حالات الدراسة تحوز رصيد من رأس المال الجمعي، إلا أن أهمية هذا الرصيد وفاعليته مرهونة بحدود المجال الثقافي إلى حد كبير.

وعلى هذا فإن امتدادات حالات الدراسة وفق رصيدها من رأس المال الجمعي، كان امتداداً رأسياً، أي داخل حدود المجال الثقافي فحسب، ولم يكن هناك امتداداً أُفقياً خارج حدود المجال، باستثناء حالة واحدة فقط من حالات الدراسة جسدت إلى حد ما الاتجاه المهرول نحو المجال السياسى، والمهرول إلى السياسية من المجال الثقافي هو من ينظر ملياً فى الثقوب التى يتركها المجال السياسى مفتوحة فى طبيعة الاستقلال عن المجال الثقافي، كما أن المجال السياسى يسمح له بالدخول –إن شاء– كما يسمح له بأن يخلط ما هو سياسى بما هو ثقافي، وأن يراكم من أرصدة رأس المال السياسى وموارده ما شاء له أن يراكم[١٧].

ويمكن التدليل على ذلك من خلال النص الخاص بهذه الحالة :

تقول الحالة رقم (٨) : " أنا عمرى ما خططت إنى أقرب أو أبعد من المجال السياسى هى المسألة دى تخضع للظروف، لكن مرة وضعوا اسمى فى لجنة لتقييم انتخابات الحزب فى المحليات، ورغم أنى مش فاضى لكن قبلت لأنه مش من الذكاء أنك ترفض، فقلت لهم من عنيا الاتنين، وأنا أى حاجة عايزها الحزب متأخرش فيها، وبعد أكتر من مقابلة طلبوا منى أنزل فى انتخابات المحليات، ودخلت الانتخابات وأدينى دلوقتى عضو فى مجلس محلى المحافظة، والتجربة كلها جديدة على، وأحياناً كتير أنا بسمع بس، وقليل جداً ما أتكلم فى المجلس، لأنى

حاسس إن باقى الأعضاء فى الحكاية دى من زمان، وأنا برده جديد ... ".

ويُفضى تأمُّل النص السابق، إلى أن دخول المجال السياسى كان مجرد هرولة، لم تقم على أساس من التاريخ السياسى، أو النضال فى المجال السياسى، وفكرة الاستعانة بأحد أفراد النُخْبة في المجال الثقافي في معظم الأحيان لا تخرج عن كونها مجرد وجاهة اجتماعية تسعى إليها الأحزاب، وقد يمتد ذلك إلى مستوى النُخْبة المركزية، والتي لا تخلو الآن من عضوية كثير من المثقفين وأساتذة الجامعة؛ وهناك العديد من الدراسات التى أكدت هذه الرؤية[١٨].

التعقيب :

عرض الباحث خلال هذا الفصل لحركة رأس المال الثقافى، وطبيعة تشكيل النُخْبة الثقافية من خلال المعطيات الميدانية التى توافرت للباحث من خلال المقابلات التى أجراها مع خمس حالات داخل هذا المجال.

وفيما يتصل بظروف نشأة حالات الدراسة وخصائصهم الاجتماعية، كشفت الدراسة عن أن معظم حالات النُخْبة الثقافية توافدت من أسر تنتمي إلى الشرائح المختلفة للطبقة الوسطى، ولقد توافرت لحالات الدراسة رصيد من رأس المال الثقافى الموروث من خلال أسرة النشأة وعلاقتها بالثقافة، ولقد كان هذا الرصيد الموروث نواة مهمة للرصيد الحالي.

ولم يكن تحقيق النخبوية لدى حالات الدراسة بالشئ اليسير، فقد تطلبت هذه العملية بذل الكثير من الوقت والجهد، حتى يتم التغلب على العديد من الكوابح البنائية، ولعل أهم هذه الكوابح هو طبيعة علاقة رأس المال الثقافى بالبناء الاجتماعى بشكل عام.

وعلى الرغم من نجاح حالات الدراسة فى تكوين رصيد من رأس المال الجمعي، من خلال عمليات تبديل رصيدهم من رأس المال الثقافى، إلا أن هذه العملية لم تكن سهلة، بل جاءت صعبة ومكلفة بالنسبة لحالات الدراسة.

وقد تضمن رصيد حالات الدراسة من رأس المال الجمعي، أرصدة مختلفة من رأس المال الاقتصادى، ورأس المال الاجتماعى، ورأس المال الثقافى الرمزي، وكشف خطاب حالات الدراسة عن أن أهمية هذا الرصيد وفاعليته غالباً ما تكون مرهونة بحدود المجال الثقافى.

ولقد نجحت بعض حالات الدراسة فى تعبئة رصيدها من رأس المال الجمعي نحو إعادة إنتاج الذات فى صورة الأبناء، حيث حرصت هذه الحالات على توريث الأبناء نفس المهنة، أو توجيه الأبناء نحو مؤهلات تعليمية يكون لها مردود عالي سواء كان هذا المردود مادي أو معنوي يتصل بالسلطة والمكانة الاجتماعية العليا.

وكشفت المعطيات الميدانية عن تعدد استراتيجيات تحقيق النخبوية فى المجال الثقافى؛ منها الوراثة، والاستثمار الثقافى، والذي توفر من خلال الحراك الأفقي لبعض الحالات، أو من خلال رصيد رأس المال الثقافى وتحديثه، وأخيراً تعبئة حالات الدراسة لرصيدها من رأس المال الجمعي نحو تحقيق التميز والوصول إلى المكانة العليا داخل المجال الثقافي.

هوامش الفصل الخامس

(١) انظر فى ذلك :

- Susan A. Dumais, Cultural Capital, Gender, and School Success: The Role of Habitus, Op. Cit., P. 44.
- Esther Ho Sui –Chu, Parental Involvement and Student Performance: The Contribution of Economic, Cultural, and Social Capital, Op. Cit., PP. 139 -145.

(2) Ghada, F. Barssoum, The Employment Crisis of Female Graduates in Egypt, Op. Cit., P. 19.

(3) Nan Dirk De Graaf, and Others, Parental Cultural Capital and Educational Attainment in The Netherlands, Sociology of Education, Vol. 73, No.2m Apr. 2000, P. 93.

(4) Alexander Lellatchitch and Others, The Field of Career Towards a New Theoretical Perspective, Op. Cit., P. 5.

(5) Helmut K. Anheier and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P. 890.

(6) Bourdieu, The Forms of Capital, Op. Cit., P.243.

(7) Helmut K. Anheier, and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P.862.

(8) Bourdieu, Distinction, Op. Cit., P.143.

(٩) جلال أمين، من عصر الأفندية إلى عصر الدكاترة، مجلة الهلال، يوليو ٢٠٠١م، ص ٧٣.

(١٠) جوردون مارشال، موسوعة علم الاجتماع، المجلد الثالث، ترجمة محمد الجوهري وآخرين، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠١م، ص ١٣٣٦.

(١١) انظر فى ذلك :

- Nan Lin, Social Capital : A Theory of Social Structure and Action, Op. Cit., P. 39.

(١٢) لمزيد من التفاصيل حول مبدأ التشابه فى التفاعل الاجتماعى، انظر :

- Ibid, P. 48.

(13) Helmut K. Anheier and Others, Forms of Capital and Social Structure in Cultural Field: Examining Bourdieu's Social Topography, Op. Cit., P. 890.

(١٤) انظر فى ذلك :

- Mleril Egerton, Occupational Inheritance : The Role of Cultural Capital and Gender, Work Employment & Society, Vol. 11, No. 2, 1997, PP.263 -282.
- Marie Duru – Bellat, and Others, Patterns of Social Inequalities in Access to Higher Education in France and Germany, International Journal of Comparative Sociology, Vol. 49, No. 4 -5, 2008, P. 348.

(15) Bourdieu, Distinction, Op. Cit., P. 120.

(١٦) جلال أمين، مصر والمصريون فى عهد مبارك، دار ميريت، القاهرة، ٢٠٠٩م، ص١٥٢.

(١٧) يمكن التعرف على العلاقات القائمة ما بين المجال السياسى والمجالات الأخرى، من خلال تصنيفات أحمد زايد لاتجاهات العلاقة بين هذه المجالات، انظر :

- أحمد زايد، النُخَب بين المجال السياسى والمجال الاجتماعى، مرجع سابق،ص ص ١٧٨-١٨١.

(١٨) انظر فى ذلك :

- مايسة الجمل، النخبة السياسية فى مصر، مرجع سابق، ص ص ١٥٦-١٦٢.
- جلال أمين، من عصر الأفندية إلى عصر الدكاترة، مرجع سابق، ص ص ٦٦-٧٣.